الدولة الديمقراطية في فلسطين هي هدف بعيد المنال، وبالتالي، فان وضع العرب في اسرائيل سوف يستمر لوقت معين، مما يقتضي وضع هذه الحقيقة القاسية في الحسبان»[٩٣]. وفي موقف غير بعيد من هذا التحليل، انتقد البعض موقف المنظمة من انتفاضة يوم الارض الاولى (آذار / مارس ١٩٧٦)، وتحميلها أكثر من اللازم، باعتبار ان «أجهزة الاعلام الفلسطيني، على اختلاف اتجاهاتها، برعت في مواكبة تلك الانتفاضة، دون أن يواكبها، في الحقيقة، عمليات عسكرية جريئة من جانب المقاومة الفلسطينية، وباعتبار أنه لم يكن هناك تنسيق بين انتفاضة الجليل وعمليات عسكرية في مناطق أخرى، وأن الانتفاضة أبرزت عدم وجود جهاز مهجري قادر على متابعة جماهير العرب في اسرائيل»[٩٤].

وما يستلفت الانتباه ويدعو للدهشة، ان تطور الفكر السياسي الفلسطيني العام، وبخاصة تجاه التسوية وأساليب النضال، وتطوّر نضال العرب في اسرائيل وأطرهم السياسية والتقائهم في كثير من النقاط مع أهداف حركة المقاومة الفلسطينية، وهو ما برز في برامجهم السياسية ومواقفهم وسلوكهم الفعلي، لا سيما منذ بداية الانتفاضة الكبرى، وقطعهم لمسافة كبيرة على طريق «الفلسطنة»[٩٥]، واعلانهم عن القبول بما تقبل به المنظمة، بالرغم من ان ما تقبل به المنظمة لا يتماثل ، تماماً، ومطالبهم الذاتية[٩٦]، كل ذلك، لم يواكبه وضوح في البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ولحركة المقاومة عموماً تجاه العرب في اسرائيل. وبالرغم من ان منظمة التحرير الفلسطينية، خرجت، أحياناً، عن حذرها التقليدي تجاههم، واتخذت مواقف محدّدة من نضالهم البرلماني (مثلاً في العامين ١٩٨٨ و١٩٩٢)[٩٧]، فما زال، في مطلع العقد الحالي، مَنْ يردد انتقادات أواخر عقد السبعينات، وانْ اختلفت الصيغ، ومن هؤلاء مَنْ يعتبر ان إحدى اشكاليات التطوّر السياسي للعرب في اسرائيل، هي في افتقاد البرنامج الفلسطيني العام لتوجه محدّد تجاههم، فهذا الفراغ «يساهم في بلبلة مسارهم السياسي، ويساهم في تكريس حالة العزلة والانفصام لديهم عن الحركة الوطنية الفلسطينية»[٩٨]. ولذلك، فان المطلوب من الحركة الوطنية الفلسطينية ـ الأم هو «فتح حوار موسّع مع العرب في اسرائيل، للتوصل الى أفضل السبل الممكنة لتفعيل نضالهم وبلورة دورهم داخل حركة النضال الفلسطيني»[٩٩]. وعموماً، فان حواراً معمّقاً بين الفعاليات العربية في اسرائيل والحركة الوطنية الفلسطينية، سوف يؤدي الى جسر الفجوة الفكرية والحركية بين الجانبين، مما يقود، بالتداعي، الى وضع اسرائيل أمام خيارات جديدة.

لا يخفى ان هذا النقد، ينطوي، ضمناً، على الاعتراف بحقيقة المسافة الفاصلة بين رؤى الفكر السياسي لعرب اسرائيل ورؤى الحركة الوطنية الفلسطينية، وهي مسافة لا تخدم قضايا النضال لدى الطرفين. وقد سبقت الاشارة، في اكثر من موضع، الى ان الفكر السياسي للعرب في اسرائيل، كانت له تشوفاته الابداعية، التي يمكن الافادة منها، فقد تحدّث عن مستقبل «الشرق الاوسط» وعلاقة المنطقة العربية باسرائيل، بعد اقرار حالة سلام، تعترف فيها الاخيرة، بالحقوق العربية والفلسطينية، وذلك في وقت (أو مرحلة) كان فيه مثل هذا الحديث، الذي أصبح معتاداً الآن، في حكم المحرمات، تقريباً، عربياً وفلسطينياً. كما ان القدرات التنظيمية المبتكرة للعرب في اسرائيل، وتوجههم الى تفعيل قوى المجتمع المدني في اتجاه العمل السياسي، في ظل الآلة القانونية والسياسية الجهنمية لاسرائيل وفي مواجهتها، هي أمور لا تخلو من دلالات وعِبَر. الى ذلك، فان من الخصائص التي يمكن استخلاصها من مسار الفكر السياسي للعرب في اسرائيل، ومن تجلياته على مستوى الحركة السياسية، القدرة على تطوير أساليب النضال من خلال التجربة والخطأ ومراجعة الذات، وملكة القراءة الصحيحة، الى